

الحشاشون^(١)

الحشاشون هو الاسم الذي يطلق على ذلك الفريق من الإسماعيلية الذين كانوا يحتلون أيام الحروب الصليبية الحصون الجبلية في الشام وغيرها من ربوع المسلمين والذين جروا على التخلص من عدوهم بالاغتيال على أن المعنى المألوف للكلمة الأوروبية ASSASEIN لا صلة له باللفظ الأصلي ذلك لأنها يجب أن ترد الكلمة العربية (حشيشيون) ومعناها متعاطوا الحشيش والحشيش يجهز من القنب الذي يستعمله صوفية المشرق أحياناً ليبلغوا حالة الوجد أو السكر ويقال إن الذين ينتخبون من الفدائيين على يد أئمة الحشاشين لأداء مهمة جليلة الخطر (كالاغتيال مثلاً) يدفعون إلى تعاطي الحشيش حتى يصبحوا كالألات الصماء يقومون بكل عمل يطلب منهم وأطلق ابن خلكان على الحشاشين بصفة عامة اسم الفدائية بيد أن المصنفات الشرقية جرت على تسميتهم بالملاحدة أو النزارية إذ لم تكتف بتسميتهم بالإسماعيلية فحسب.

وما يميزهم عن سائر الإسماعيلية مبدأ خاص بقدر ما يميزهم تحول نظامهم السياسي إلى جماعة سرية يطيع أفرادها أئمتهم طاعة عمياء ولم يكن استغلالهم القتل تخلصاً من عدوهم ظاهرة جديدة في الإسلام فقد لجأ إلى القتل قبل ذلك أبو منصور الإجلي ومغيرة بن سعيد وهما اللذان عرفا أنصارهما بالخناقة، وعظما من شأن الاغتيال يتوسل به إلى بلوغ المأرب السياسية وعداه ديناً يثأب المرء عليه.

أما ما عدا ذلك من عقائد كالحشاشين التي لم ترد في المصنفات الإسماعيلية والتي عرضنا لها بعد فلسنا نعرفها معرفة كاملة، ذلك لأن كتبهم المقدسة وهي الكتب التي لم يصل إلينا سوى عنوان واحد منها وهو (سركنشت سيدنا) أي تاريخ سيدنا وهو الحسن ابن الصباح قد أبيدت جميعاً في العهد المغولي، وكل ما نعلمه هو أن مؤسس الجماعة السرية الحسن بن الصباح قد استميل إبان إقامته في مصر (١٠٧٨-١٠٨٠م) إلى نصره نزار بن المستنصر الفاطمي ومنه سمي أعضاء الجماعة بالنزارية كما قدمنا ومن العلوم أن نزار لم يخلف أباه المستنصر وإنما خلفه أخ أصغر منه نادى به الفاطميون إماماً عليهم ولقبوه بالمستعلي.

بيد أن الحشاشين ظلوا على نصرتهم لنزار حتى جاء خلف للحسن ابن الصباح اسمه أيضاً الحسن (ابن محمد) فزعم أنه معد ولد نزار ومن ثم طالب بالإمامة. فدعا تحقيقاً لهذه الغاية أتباعه جميعاً إلى اجتماع مشهود (عيد القيامة) عام ٥٥٩هـ - ١١٦٤م ولم يطلب في هذا الاجتماع البيعة له بالإمامة فحسب بل جهر بإبطال الشرع الإسلامي ثم وجدت التحول على يد حسن ثالث (جلال الدين) ذلك أنه ما إن خلف أباه عام ٦٠٧هـ - ١٢١٠م حتى عاد إلى العمل بالشرع الإسلامي وأنبا الخليفة العباسي بولائه وأذن لأمه بالحج إلى مكة ومن ثم لقب بـ (نومسلمان أي المسلم الجديد) ونشأ بين الحشاشين في عهد خلفائه خلاف في الرأي وانقسام في الجماعة لا نعرف عن طبيعته شيئاً على وجه التحقيق. وسرعان ما قضى المغول على سلطان هذه الجماعة السياسي فلم يبق للحشاشين بصفتهم تلك وجود أما من أفلتته الكارثة منهم وظل مستمسكاً بأرائه فقد ذهب في غمار الإسماعيلية الآخرين.

وببدأ تاريخ الحشاشين بفتح الحصن الجبلي (الموت) على يد الحسن بن الصباح عام ٤٨٣٦هـ - ١٠٩٠-١٠٩١م وقد نقل حاضرتة إليه وأخذ ينشر دعوته من هذا المكان العزيز المنال فأدى ذلك أول ما أدى إلى احتلال أنصاره كثيراً من الحصون الجبلية في بلاد فارس بأسرها والتخلص من أخطر عدو لهم بقتله غيلة.

ومن أوائل ضحاياهم الوزير السلجوقي المشهور نظام الملك (٤٨٥هـ - ١٠٩٢م) ثم اضطربت شؤون العالم الإسلامي بموت السلطان ملك شاه وما نشأ عنه من نزاع حول الملك بين مختلف الطامعين فيه وظهور الصليبيين في بلاد المسلمين بعيد ذلك، فتمكن الحشاشون من إحراز انتصارهم الخطير وقوي سلطانهم في أعوام قليلة حتى اعتلى العرش السلطان السلجوقي محمد الأول، فلم يدخر وسعاً في القضاء عليهم وكان حصن دزكوه المجاور لأصفهان وهو الذي أطلق عليه ملك شاه اسم (شاهدز) في حوزرة زعيم مبرز من زعماء الحشاشين يعرف بابن عطاش، وهو الذي عد الحسن بن الصباح من تلاميذه، وقد سقط هذا الحصن بعد مقاومة مستبسلة عام ٥٠٠هـ الموافق ١١٠٧م (انظر الوصف الرسمي لهذه الواقعة في ابن القلانسي طبعة أمدرود ص ١٥٢ وما بعدها) وعهد عندئذ إلى الأمير التركي أنوشتكين شيركير بتسيير دفة الحرب على الحشاشين فأحرز عدة انتصارات أدنته من احتلال حصن الموت نفسه ولكن موت محمد عام ٥١١هـ - ١١١٨م اضطره إلى رفع الحصار عنه وعاش الحسن بعد هذه النازلة حوالي السبع سنين فقد توفي عام ٥١٨هـ - ١١٢٤م واستخلف على الحشاشين كيابزرك أميرودباري الذي ترك تصريف الأمور إلى خلفائه.

وهؤلاء حكام الموت:

٤٨٣-٥١٨هـ - ١٠٩٠-١١٢٤م

الحسن بن الصباح

٥١٨-٥٣٢هـ - ١١٢٤-١١٣٨م	بزرگ أمید رودباري
٥٣٢-٥٥٧هـ - ١١٣٨-١١٦٢م	محمد بن بزرگ أمید
٥٥٧-٥٩١هـ - ١١٦٢-١١٦٦م	الحسن بن محمد
٥٦١-٦٠٧هـ - ١١٦-١٢١٠م	نور الدين محمد
٦٠٧-٦١٨هـ - ١٢١٠-١٢٢٢م	جلال الدين حسن بن محمد
٦١٨-٦٥٣هـ - ١٢٢٠-١٢٥٥م	علاء الدين محمد
٦٥٣-٦٥٤هـ - ١٢٥٥-١٢٥٦م	رکن الدين بن محمد

وقد احتمل الحشاشون إبان حكم كهؤلاء الأئمة الكبار اضطهاداً مريعاً، ومع ذلك فإن الخلفاء وأمراء السلاجقة لم يستطيعوا كسر شوكتهم والقضاء على أوكارهم فقد كانوا بارعين في التخلص من الد أعدائهم بالقتل غيلة وأخذوا يجدون في نشر دعوتهم.

وقد وفقوا بنوع خاص على تثبيت أقدامهم بأرض الشام حيث أفاد رضوان صاحب حلب السلجوقي من معاونتهم وبعث برجل يدعى ابا طاهر ولعله احترف الصياغة لأنه لقب بالصائغ، رسولاً إلى الشام واستمال في حلب خلقاً كثيراً وفي عام ٤٩٩هـ - ١١٠٥-١١٠٦م حاول أبو طاهر التخلص من صاحب أفامية بقتله غيلة، ولكن أمله خاب في حكم المدينة لأن الصليبيين سرعان ما احتلوها.

وتعرض الحشاشون في حلب بعد وفاة رضوان عام ٥٠٧هـ - ١١١٣م إلى اضطهاد دموي، على أن ذلك لم يمنع رسولاً فارسياً آخر يدعى بهرام من أن يستميل أنصار كثيرين بعد ذلك بأعوام قليلة، بل لقد استطاع هذا الرجل أن يحتل مدينة بانياس عام ٥٢٠هـ - ١١٢٦م وهي التي استسلمت بعد ذلك بثلاث سنين للصليبيين.

وكثيراً ما تواد الحشاشون مع المسيحيين وحاولوا توطيد أقدامهم بالاستغلال البارع للأحوال السياسية، وفي عام ٥٣٥هـ - ١١٤٠-١١٤١م فتحوا حصن مصياف (مصياف) وغيره من الحصون في شمال بلاد الشام مثل كهف وقدموس وعليقة والخابي.. وكان رأس هؤلاء الحشاشين الشاميين المؤقت يدعى شيخ الجبل.

ومن ثم فلا يدل هذا اللقب كما قيل أحياناً على الإمام الفارسي الكبير وهو إمام الحشاشين الأكبر ومن أشهر الحكام الشأميين راشد الدين سنان.

وأحدث المغول انقلابات هائلة في أحوال آسيا السياسية، وهم الذين استطاعوا أيضاً القضاء على الحشاشين، فما إن اعتلى آخر شيوخهم ركن الدين منصب الإمامة حتى وجه هولاكو جنده نحو الموت فأخذت ركن الدين العزة ولكن المقاومة كانت عبثاً لا طائل وراءه فاضطر إلى الاستسلام عام ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م وسبق إلى الخان الأكبر بيد أنه قتل في الطريق إليه، وانتزعت من الحشاشين معاقلم الحصينة وخرب بعضها وسقطت المعازل الشأمية إلى حين في يد المغول مثل مصياد

عام ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م ذلك أنه كان من نصيب سلطان المماليك بيبرس أن يوجه إلى الحشاشين الضربة القاضية عام ٦٧١هـ ١٢٧٢م فقضى بذلك على السلطان السياسي لهذه الفرقة المروعة بيد أنه بقي في جبال النصيرية وما زال جماعة من الإسماعيلية انحدروا من الحشاشين كما هي الحال في فارس وبلاد الهند.

المصادر:

- (١) ورد تاريخ الحشاشين في مصنفات التاريخ العام كابن الأثير وابن خلدون وأبي الفدا إلخ..
- (٢) انظر كذلك القسم المناسب للموضوع في تاريخ ميرخواند وهو القسم الذي نشر مفصلاً في NOTICES et EXTRAITS ج٩ ص ١٩٤ وما بعدها.
- (٣) والقسم المناسب للموضوع في تاريخ كزيدة وقد ترجم في المجلة الآسيوية الفرنسية ١٨٤٨.
- (٤) SUR IA: DE SACY QUATREMERE
- (٥) DYNASTIE DES ASSASSINS, NOTICE HISTORIQUE SUE LES ISMAILIENE VON HAMMER
- (٦) MINES DE IORIENT GESCHICHTE DER ASSASSINER AUS MORGEN-DEFREMERY ج٤(٦)
- LANDISCHEN QUELLEN NOUVELLES RECHERCHES SUR LES ISMAELLENS (٧) في
- المجلة الآسيوية المجموعة الرابعة ج١٣ والمجموعة الخامسة ج١١-٨-٣-٢
- (٨) FRAGMENTS RELATIFS A: ST. GUYARD LA DOVTRINE DES ISMAELLIS NOTIVES ET EXTRAITS UN
- (٩) انظر المقال الحشاشون ج٢٢. ١. GRUND MAITRE DES ASSASSINS في المجلة الآسيوية الفرنسية المجموعة السابعة ج٩ (١٨٧٧) ص ٣٢٤-٤٨٩
- (١٠) EPIGRAPHIE: VON BERCHEM DES ASSASSIN DE SYRIA طبعة ١٨٩٧
- (١١) A LITERARY HISTORY OF BROWNE PERSIA ج٣ ص ١٩٣ وما بعدها

تسمية الحشاشين^(١)

قال المستشرق (كازانيف CASANEUVE) إنها متصلة بالكلمة الأنجوسكسونية (SEAX) بمعنى (سكين) وزعم المستشرق (جبلان GEBELIN) أنها مشتقة من كلمة (شاهنشاه) بمعنى ملك الملوك، وقال آخر أنها مسخ لكلمة (الحسنين) أي اتباع الحسن، وذكر غيره أنها محرفة من كلمة العساسين أي الحراس بدليل أن عمل أصحاب الحسن وقت السلم كأن حراسة القوافل التجارية من اللصوص.

وحاول آخرون تخريبها إلا أنها بقيت غامضة حتى استطاع العلامة (سلفستردى ساسي) أن يقول أن الصليبيين هم الذين حرفوا هذه الكلمة وجاءت إلى أوروبا عن طريقهم وذكروها هكذا: ASSASSINI أو ASSESSINI أو HEISSESSINI أو A SSASSINI

وقد أوردها المؤرخون اليونان مشابهة لما قال عنها دي ساسي (خزسيوي) وقيل أن هؤلاء الفدائيين كانوا يدربون منذ نعومة أظفارهم في منازل رؤساء الدعوة وتحت إشرافهم ويلقنونهم أن سلامتهم متوقفة دائماً على فداء أنفسهم، وإن أقل مخالفة تبدر منهم تكون سبباً في وقوعهم تحت العقوبة والمسؤولية إلى الأبد وأن الذي يقدم الطاعة جزاؤه الجنة.

ومما لاشك فيه أن موجد هذه الفرقة التي أخذت عنها الدول الكبرى في عصرنا الحاضر هو الحسن بن الصباح وكان هدفه أن يعمل بجد ونشاط لتكوين مجتمعات إسماعيلية قوية منظمة تنظيمياً دقيقاً يضمن لها البقاء، ولما تم للحسن بن الصباح امتلاك قلعة الموت جمع إليه نخبة ممتازة من أبناء الدعاة والمستجيبين المعروفين بتضحياتهم في سبيل عقيدتهم وأخذ يعمل جاداً على تدريبهم على الطاعة العمياء والإيمان المطلق وأخذ يعمل جاداً على تدريبهم على الطاعة العمياء والإيمان المطلق بكل ما يقوله لهم، ثم نفخ فيهم حب الفناء في سبيل العقيدة والإمام، ولما اشتد ساعدتهم استقدم لهم أحسن المدرسين على استعمال مختلف أنواع الأسلحة المعروفة في ذلك الوقت كما جلب لهم أساتذة أقوياء لتعليمهم عدة لغات من اللغات الأجنبية واللهجات المحلية التي يتكلمها سكان البلاد، أضف إلى ذلك كله أنه كان يدربهم على استعمال الأحرف للسرية وكيفية إخفاء أنفسهم ومن يرافقهم في مهماتهم بحيث لا يبوح الفدائي بسرهم أو سر الجماعة التي ينتمي إليها، فإذا قبض عليه أحد الأعداء لا نطق بكلمة واحدة بل من المفروض أن يعتمد على قتل نفسه قبل أن يجبر على التكلم.

وجعل الحسن المحبة والأخوة الرباط الذي يربط الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الفرقة التي يتصف أفرادها بالشجاعة النادرة، وحب المخاطرة، والعزيمة التي لا تقهر، والصبر، فقد يظل الفدائي يترقب الفرصة المؤاتية لتنفيذ مهمته شهوراً بل سنين، ويذكر التاريخ الفدائيين الذين كلفوا بقتل (كونراد) مركز مونتفرات قد تمكنوا من الإقامة في معسكر الصليبيين ستة أشهر كاملة ينتظرون الفرصة السانحة وهم بثياب الرهبان المسيحيين.

ولقد كان الحسن بن الصباح صارماً في تدريب وتنشئة هؤلاء الفدائيين قاسياً عليهم أشد القسوة، حتى استطاع أن ينجح في إعداد نخبة ممتازة من الشجعان أصبحوا نواة للحماية الإسماعيلية، وعناصر طيبة لتكوين الجيش الإسماعيلي الذي دوخ الملوك والأمراء الذين جابهوا الإسماعيلية بعامل حب السيطرة والتحكم، وثبت دعائم الدولة للنزارية الإسماعيلية بالقوة في قلب التيارات العاتية التي كانت تعصف وتهدد كل ضعيف بالاندثار المحقق.

طائفة الحشاشين^(١)

يستعمل كتبة أوروبا وأمريكا كلمة أساسن ASSASSIN للقاتل غدراً ويصرفونها على قواعدهم ويشتقون منها المصدر واسم الفاعل واسم المفعول وهلم جرا..

وهي ليست يونانية ولا لاتينية ولا انكلوسكسونية بل هي عربية محضة وقد يدلنا البحث في أصلها على تاريخ صنف من الفوضويين ظهر في الشرق على عهد الدول الإسلامية، وقد عولت في بحثي على نسخة خطية باللغة الإنجليزية من خطاب للعلامة الدكتور هارفي بورتر أستاذ التاريخ في المدرسة الكلية في بيروت تلاه في الجمعية العلمية الإنجليزية البيروتية سنة ١٨٩٣.

وفي المعجمات الإفرنجية إن كلمة أساسين المشار إليها تحريف كلمة حشاشين العربية فعلينا البحث في أصل دلالتها على القتل وهو موضع هذه المقالة فنقول:

الحشاشون لغة الذين يتعاطون الحشيش، القنب الهندي المشهور بخصائصه المسكرة، وهو معلوم في مصر وسائر المشرق من قديم الزمان واصطلاحاً بدعة ظهرت في القرن الحادي عشر للميلاد في شمالي بلاد الفرس أنشأها رجل اسمه حسن بن صباح ويسميه مؤرخ الإفرنج (شيخ الجبل) وكان حسن بن صباح هذا من دعاة القرامطة الذين ظهروا في مصر على عهد الدولة الفاطمية ويسمون أيضاً الباطنيين ذهبوا في تفسير القرآن على المجاز والاستعارة كما هو معلوم عنهم.

وخرج حسن من مصر يدعو الناس إلى تعاليمه الجديدة في العراق والشام فلم يفلح فرجع بصفقة المغبون فلقى بمصر من الحفاوة والإكرام ما شدد عزمته فكثرت أشياعه حتى صاروا يعدون بالألوف فقيوت آماله بالنجاح العاجل، فخرج ثانية من مصر وذهب إلى تونس والجزائر فعارضته الرياح وأجرت سفنه على غير ما كان يريد فخذفته إلى سواحل سورية أرض البدع ومهبط الوحي ومهد الأديان، واتفق وحسن بن صباح في تلك السفينة أن البحر هائج ومائج حتى أوشكت السفينة أن تغرق بمن فيها فعلا صياح النوتية وجعلوا يستغيثون ويندبون حظهم وابن صباح هادئ البال مطمئن الخاطر.

فزاد إعجاب البحارة واستعظموا أمره فاغتتم هذه الفرصة وادعى النبوة فزعم أن الله أوحى إليه بنجاة السفينة ومن فيها واتفق سكون الرياح لحسن حظه فسلمت السفينة بمن فيها فلما وصلوا إلى الشام ترك النوتية كل شيء وتبعوه فذهب بهم إلى حلب، فبغداد حتى استقر في شمالي بلاد العجم.

وزاد عدد المقربين إليه والمؤمنين بدعوته فخطر في باله أن يتفرد بالرئاسة في المشرق كله، وعلم أن ذلك لا يتأتى له إلا بملاشاة كل قوة حاكمة في عصره في العالم الإسلامي وكان من دهاة زمانه فعمد إلى الحيلة فشرع في تعويد أحزابه على الطاعة العمياء حتى يستخدمهم في الغدر بالمتسلطين والمؤامرة على أولياء الأمور فيخلص منهم ويخلو له الجو بالشرق ما يشاء.

(١) الدكتور سعيد أبو جمرة، سان باولو - البرازيل (مجلة الهلال سنة ١٩٠١م السنة العاشرة، (ص ٨٣ - ٨٦)

فجعل يسكر أتباعه بالحشيش المعروف وينقلهم وهم سكارى إلى مكان أجمل من الذي كانوا فيه في صحوهم فإذا أفاقوا سألهم أين أنتم فيجيبونه طبعاً إنهم في منزل حسن وعيشة هنية فيسكرهم ثانية وينقلهم إلى محل آخر فيه الحدايق الغناء والقصور الشامخة والجواري الحسان مما يسبب العقول (وخصوصاً عقول السكارى) فيفيقون من سكرتهم وهم في ذلك الفردوس الأرضي فيسألهم أين أنتم الآن فيعترفون بأنه في الفردوس ويقتنعون أن الرجل مرسل من الله لسعادتهم وإن السعادة والشقاء طوع وإرادته.

فاعتقدوا به ذلك وتولدت فيهم الطاعة العمياء له حتى الموت كما يظهر من تاريخ هذه البدعة، وقد دعيت بدعة (الحشاشين) للسبب الذي قدمناه ومن خصائص الحشيش الطبية أن السكران به يفقد وجدانه فيسهل انقياده لغيره كما ينقاد المنوم على إرادة منومه وربما كان تصرف ابن صباح هذا مع أتباعه من قبيل التنويم المغناطيسي.

ويرى الأستاذ بورتران ابن صباح لم ينجح في دعواه باستخدامه الحشيش فقط بل باحتجابه أيضاً لأنه كان يقضي أياماً أو أشهراً ولا يراه واحد من قومه ثم يظهر ويزعم أنه كان في السماء وقد جاء منها بأوامر ما على أتباعه إلا الطاعة العمياء.

فلما استوثق ابن صباح من نجاح مسعاه وصار أتباعه في حوزة يده جعل يرسلهم زرافات ووحداناً إلى عواصم العالم الإسلامي وأمهات مدنه ويبثهم بين الأمراء والحكام والملوك بصفة خدم وحشم وأعوان أو بصفة تجار وصناع وقواد لكي يغدروا بهؤلاء الحكام أو الخلفاء أو الملوك وغيرهم من رجال الإسلام والإفرنج (الصلبيين).

وكان على دمشق الشام في أثناء ذلك ملك شاه أحد سلاطين السلجوقيين وله وزير اسمه نظام الملك اشتهر بدعائه وحنكته في السياسة فوجد ذلك الملك مقتولاً في بيته وخنجر القاتل هناك ولم يعلم من فعل ذلك إلا من كلام أحد خلفاء حسن بن صباح وقد أباح سر هذه العصابة بعدئذ فقال: إن الحشاشين هم الذين فتكوا به، وكان ذلك عام ١٠٩٣م وهذه أول أفعال هذه العصابة. ويحكى أن نظام الملك هذا استولى عليه الخوف بعد قتل ملك شاه فأرسل رسولاً إلى حسن بن صباح وهو في شمالي بلاد العجم يستعطفه فرفض حسن ذلك ولكي يربع قلب السفير أشار إلى أحد رجاله الواقفين بين يديه فاستل خنجره وطعن به نفسه فمات للحال، فقال حسن إلى الرسول اذهب إلى سيدك وأخبره بما رأيت وقل له أن عندي ستين ألفاً مثل هذا قيل - فلما بلغ نظام الملك ذلك ارتعدت فرائصه وخاف شر العاقبة- فصار لا يستخدم في بيته إلا من يثق بأمانته وإخلاصه.

وفي ذات يوم قدم رسول من حسن بن صباح إلى الشام وطلب مواجهة نظام الملك لداع مهم، فدخل على الملك بجرأة غريبة وقال له بكل صراحة:

(أذعن وإلا فلنا من عبيدك وخدامك رجال يختطفون حياتك إذا شئنا، وإذا أقسمت بشرف رأسك إنك لا تمسهم بأذية أبرزتهم من بين أهل بطانتك في هذه الساعة).

فأقسم نظام الملك بذلك فأخرج له من بين خدمه خمسة رجال من أخص عبيده بإشارة خصوصية قيل فاندهل نظام الملك وبات قلق البال من ذلك اليوم لكنه لم يسلم مطالبه حتى ذهب ضحية غدرهم فمات مقتولاً.

وأقام الملك سنجر على الشام بعد الملك شاه فسعى حسن بن صباح في اخضاعه لإرادته زعمان ذلك أوفق له من قتله فأرسل إليه كتاباً يقول فيه لي أخلص (النية يا سنجر وإلا هلكت) فلم يهتم سنجر بالكتاب..

ففي أحد الأيام نهض سنجر من رقاده فرأى خنجراً مغروساً قرب فراشه وبعد قليل ورد إليه كتاب من حسن يقول فيه (قد وجدت خنجراً مغروساً بأرض غرفتك فأذعن وإلا غرسناه في صدرك) فخشي سنجر سوء العاقبة وسلم لحسن بكل ما طلب حتى صار آلة بيده من ذلك الحيز.

مضت ٣٧ سنة ورجال حسن بن صباح يفتكون بالأمير بعد الأمير والملك بعد الملك حتى ارتعد الشرق بأسره من ذكر اسمه ومات سنة ١١٢٤م وأتباعه ستين ألفاً ومما يحكى عن الحشاشين في ذلك العهد أنه كان في الشام وزير ذو دهاء ولخوفه على حياته من الغدر لم يكن يدع أحد يقرب إليه إلا وهو عريان لئلا يخفي سلاحاً بين أثوابه، ففي أحد الأيام أعدوا له جواداً ليركب وكان السائس من الحشاشين فأتى السائس عرياناً وأمسك المهماز للوزير على جاري العادة، فلما اعتلى الوزير ظهر جواده استل الحشاش خنجراً كان قد خبأه في سرج الجواد فطعن الوزير وقتله.

وخلف حسن بن صباح على كرسي الحشاشين رجال مثله اقتضوا أثره بالغدر والفتك اشتهر منهم رجل اسمه راشد بن سنان كان معاصراً لصلاح الدين الأيوبي الشهير فأراد رشيد الغدر بصلاح الدين فأرسل ثلاثة من الحشاشين هجموا على صلاح الدين في نواحي حلب فصددهم عنه أتباعه وقطعوه إرباً إرباً.

فأرسل ثلاثة آخرين فأصابهم ما أصاب الأولين وهلم جرا- حتى أن صلاح الدين المشهور ببطشه وتعقله خاف من الحشاشين فتخلى لهم عن شمالي سورية وكانوا قد أقاموا هناك بقيادة رجل اسمه اسماعيل، ومنهم فرقة الإسماعيلية الباقية للآن في جبال النصيرية بسورية.

وكان الصليبيون يومئذ في حروبهم المشهورة في سورية مع المسلمين وكان راشد بن سنان تارة مع هؤلاء وطوراً مع هؤلاء كما تسوقه أغراضه واغتياضه في ذات يوم فأرسل إلى الصليبيين ثلاثة من رجاله هجموا في رابعة النهار على كونراد دي مونتفرا حاكم صور الصليبي وقتلوه بوسط الشارع، ولما قبضوا عليهم لم ينطقوا بكلمة إلا أنهم من الحشاشين والأرجح إن هذه الحادثة نقلت كلمة أساسين إلى اللغات الأوروبية.

وذكر مؤرخوا الإفرنج أن هنري شامان أحد قواد الصليبيين في نواحي جبل الشيخ زار راشد ابن سنان مرة في جبال النصيرية فسر راشد من هذه الزيارة وأراد إلغاء الرعب في قلب هنري

فدعاه إلى معاقله وحصونه العديدة، فيما هما يمشيان على حائط سور عالي قال هنري: كيف يطيعك رجالك حتى الموت وهم لا يرهبون أحداً فضحك راشد وأشار بيده إلى أحد رجاله الواقفين معه على السور فرمى الرجل نفسه من أعلى السور فوصل إلى الأرض مهشماً مائتاً، فالتفت رشيد وقال: عندي سبعون ألفاً مثل هذا.

وهكذا كانت الحال في ذلك الوقت فإن شيخ الجبل أوقع الرعب في قلوب حكام ذلك الزمان حتى أن أحد خلفاء بغداد وجد مقتولاً في غرفته ولم يدر أحد من قتله لولا أن محمد الأول خليفة (الحشاشين) الثالث كشف النقاب عن أسرار تلك العصابة وظن أنه يرعب الخلفاء فكانت النتيجة أن الخلفاء وولادة الترك والمغول لما عرفوا قصد هذه البدعة عملوا على ملاحقاتها، وكان ركن الدين آخر خلفائها في بلاد الفرس فطرده المغول من هناك بعد أن فتكوا برجاله فتكاً ذريعاً وأخر ضربة نزلت بهذه العصابة الأثيمة ظهور طائفة في شمال سورية في القرن الثاني عشر للميلاد فإنهم أعداء للإسماعيلية (بقايا الحشاشين) حتى يومنا هذا.

